نيسان سنة ١٨٦٦

الشهر السادس السنة الاولى

نبذة

في تهذيب الاخلاق

منتخبة من رسالة للشيخ الفاضل ابي ذكريا ابن عدي

بقلم

الفقير يوسف الشلفون

عفي عنه

BRITISH MUSEUM

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له
اذا لم يكن في فعله وخلايقه

طبعت في بيروت بالمطبعة العمومية

145-99.d.1. 94 Pt. 6

تهذيب الاخلاق

الكتاب السادس للشراكة الشهرية في بيروت

نيسان سنة ١٨٦٦

الشهر السادس السنة الاولي

نبذة

في تهذيب الاخلاق

منتخبة من رسالة للشيخ الفاضل ابي ذكريا ابن عدي

بقلم

الفقير يوسف الشلفون

عفي عنه

BRITISH MUSEUM

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له
اذا لم يكن في فعله وخلايقه

طبعت في بيروت بالمطبعة العمومية

بسم الله الحي الكامل

المقدمة

اعلم ان الانسان من بين ساير الحيوان ذو فكر وتمييز يحب من الامور افضلها ومن المراتب اشرفها ومن المقتنيات انفسها اذا لم يعدل عن التمييز في اختياره ولم يغلبه هواه في اتباع اغراضه ولاجل تمام الانسان وكماله وجب ان يكون مرتاضا بمكارم الاخلاق ومحاسنها منزها عن مساويها ومقابحها اخذا في جميع احواله بقوانين الفضايل عادلا عن كل طرايق الرذايل واذ كان كذلك لزم ان يقصد في اعماله اكتساب كل شيمة سليمة من المعايب ويصرف همته في اقتنا كل خلقٍ كريم خالص من الشوايب وان يبذل جهده في اجتناب كل خصلة مكروهة ردية ويستفرغ وسعه في اطراح كل خلةٍ مذمومة دنية ليحوز الكمال بتهذيب اخلاقه ويكتسي حلل الجمال بلطايف شمايله ويباهي اهل السودد والفخر ويلحق

بالذوات من اهل النباهة والمجد الان المبتدي بطلب هذه المنزلة والراغب في نوال هذه المرتبة ربما خفيت عليه بعض الخلال المستحسنة التي يعنيه تجربها ولم تتميز من المستقبحة التي غرضه توقيها لذلك راينا نبين الخلق وعلله وكم انواعه واقسامه وما المرضي منه المغبوط صاحبه والمتخلق به وما المستثني منه الممقوت فاعله والمتوسم به ليسترشد بذلك من كانت همته تسموا الى مبارات اهل الفضل ونفسه ابية تنبو عن مساواة اهل الدناة والنقص مبينين ايضا طريق الارتياض بالمحمود من انواعه والتدرب به وترك المذموم وتجنبه حتى يصير للمرتاض به ديدنا وعادة وسجية وطبعا ويهتدى به من نشا على الاخلاق السئية والفها وجرى على العادات الردية وانس بها فيتركها

والله المسئول الى سواء السبيل

وهو حسبنا ونعم الوكيل

فصلٌ
في ذكر الاخلاق

الخلق هو حال للنفس بها يفعل الانسان افعاله بلا روية ولا اختبار وقد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا وفى البعض لا يكون الا بالرياضه والاجتهاد وقد يوجد في كثير من الناس من غير رياضه ولا تعمل كالسخا والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الاخلاق المحمودة ومنهم من يصل اليه بالرياضه ومنهم من يبقى على عادته و يجرى على مسيرته . وقد يختلف في الاخلاق المحمودة بالتفاضل . والمجبولون على الاخلاق الجميله قليلون والمبغضون لها المايلون الى الاخلاق السئيه كثيرون لان الغالب على طبيعة الانسان الشر . والانسان اذا استرسل مع طبعه ولم يستعمل الفكر ولا التمييز ولا الحيا ولا التحفظ كان الغالب عليه اخلاق البهايم لانه انما يتميز عن البهايم بالفكر والتمييز فاذا لم يستعملهما كان مشاركا لها فى عاداتها والشهوات مستوليه عليه والحيا غايب عنه والغضب مستقربه والسكينة غير حاضرة عنده فالحرص والاحتشاد ديدنه والشره لا يفارقه .

واذ كان الناس مطبوعون على الاخلاق الردية منقادون للشهوات الدنيه وقع الافتقار الى الشرايع والسنن والسياسات المحمودة وعظم الانتفاع بالملوك الحسنى السيرة ليردعوا الظالم عن ظلمه ويمنعوا الغاصب عن غصبه ويعاقبوا الفاجر على فجوره ويقمعوا الجاير حتى يعود الى الاعتدال في جميع اموره. والاخلاق المكروهة فى طباع الناس منهم من يتظاهر بها وينقاد اليها وهم الاشرار ومنهم من يتنبه بجودة الفكر وقوة التمييز الى قبحها فيانف منها ويتصنع لاجتنابها وهذا يكون من طبع كريم ونفس شريفة. ومنهم من لا يتنبه لذلك الا انه اذا نبه عليه احس بقبحه فربما حمل نفسه على تركه ومنهم من اذا انتبه الى ما فيه من النقايص او نبه عليها ورام العدول عنها تعذر عليه ذلك ولم يطاوعه طبعه وان كان موثرا للعدول مجتهدا في الترك وهذه الطايفة تحتاج ان ترشد الى طريق التدرب والتعمل بالعادات المحمودة حتى تصير اليها على التدريج. ومن الناس من اذا تنبه على الاخلاق الرديه لا يحن الى تجنبها ولا تسمح نفسه بمفارقتها بل يوثر الاصرار عليها مع علمه برداوتها وقبحها وهذه الطايفة ليس الى تهذيبها طريق الا بالقهر والعقوبة ان لم

يروعها التخويف والترهيب . فاما الاخلاق المحمودة فانها وأن كانت في بعض الناس غريزية فليست في جميعهم والباقيين قد يمكن ان يصيروا اليها بالتدرب والرياضة ويترقوا اليها بالاعتياد والتالف . وقد يوجد في بعض الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة ولا الخلق الجميل وذلك لرداوة جوهره وخبث عنصره وهذه الطايفة من جملة الاشرار الذين لا يرجي صلاحهم . وكثير من الناس من يقبل كثيرا من الاخلاق المحمودة وينبو طبعه عن بعضها فلا يعد هذا شريرا بل تكون رتبته في التهذيب بحسب محاسنه

فصلٌ

في العلة الموجبة لاختلاف الاخلاق

هذه العلة هي النفس ولها ثلث قوى وهي القوة الشهوانية والقوة الغضبية والقوة الناطقة وجميع الاخلاق تصدر عن هذه القوى فمنها ما تختص باحداهن ومنها ما يشترك بها قوتان ومنها ما يشترك بها القوى الثلث ومن هذه القوى ما يكون للانسان والحيوان معا ومنها ما تختص به الانسان فقط

اما القوة الشهوانية * فهي للانسان ولساير الحيوان وهى
التي تكون بها جميع اللذات والشهوات الجسمانية كالقدوم الى
الماكل والمشارب والمباضعة وهذه القوة عتية جداً اذا لم يقهرها
الانسان ويودبها ملكته واستولت عليه ومتى استولت عليه
عسر تهذيبها وصعب قمعها وتذليلها وان تمكنت من الانسان
وملكته وانقاد لها كان بالبهايم اشبه منه بالناس لان اغراضه
ومطلوباته وهمته تصير ابدا مصروفة الى الشهوات واللذات وهذه
هى عادة البهايم ومن يكن بهذه الصفة يقل حياوه ويكثر خرقه
ويستوحش من اهل الفضل ويميل الى الخلوات وينقبض من
المجالس المحفلة ويبغض اهل العلم ويشين اهل الورع ويود
اصحاب الفجور ويستحب الفواحش ويكثر ذكرها ويلذ بسماعها
ويسر بمعاشرة السخفاء ويغلب عليه الهزل وكثرة اللهو وقد يستسهل
من هذه حاله ارتكاب الفواحش والتعرض للمحظورات وربما
دعته محبة اللذات الي اكتساب الاموال من اقبح وجوهها وحملته
نفسه على الغضب والتلصيص والخيانة واخذ ما ليس له به حق
لان اللذات لا تتم الا بالاموال والاغراض فمحب اللذة اذا
تعذرت عليه الاموال من وجوهها الزمته شهوته الى اكتسابها

من غير وجوهها ومن تنتهي به شهواته الى هذا الحد كان اسوء الناس حالا ويعد من الاشرار الذين نخاف خبثهم ويشتوحش منهم ويستروح الي البعد عنهم وحينئذٍ يصير واجبًا على اولي السياسات تقويمهم وتاديبهم وابعادهم ونفيهم حتى لا يختلطون بالناس فان اختلاط من هذه صفته بالعالم مضرة كبيرة وخاصة بالاحداث لان الولد يكون التاثير به سريعًا ونفسه مطبوعة على الميل الى الشهوات فاذا ما شاهد غيره مرتكبا اياها مستحسنا للانهماك فيها مال هو ايضا الي الاقتداء به والى مساعدة لذته واما من ملك قوته الشهوانية وقهرها كان ضابطا لنفسه عفيفا في شهواته محتشما في افعاله متوقيا من المحظورات والفواحش محمود الطريقة فيما يتعلق باللذات

فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم وعفة بعضهم وفجور بعضهم هو اختلاف احوال القوة الشهوانية فانها اذا كانت مهذبة مودبة كان صاحبها عفيفا ضابطا لنفسه واذا كانت مهملة مالكة لصاحبها كان فاجرا شريرا واذا كانت متوسطة الحال كانت رتبة صاحبها في العفة كرتبته في التادب ولهذا وجب ان يقهر الانسان قوته الشهوانية

ويهذبها حتى تصير منقادة له ويكون هو مالكها فيستعملها بالتادب ويكفها عما لاحاجة به اليه من الشهوات الرذية واللذات الفاحشة

اما القوة الغضبية * فيشترك فيها الانسان وساير الحيوان ايضا . وهى التى يكون بها الغضب والحدة والجراة ومحبة الغلبة وهذه القوة اشد من القوة الشهوانية واضر بصاحبها اذا ملكته وانقاد لها لانه حينيذٍ يكثر غضبه ويظهر خرقه ويشتد حقده ويعدم حلمه ووقاره وتقوى جراته ويسرع عند الغضب الى الانتقام ويسرف في العقوبة ويزداد في التشفى ويكثر السب ويفحش فيه

فاذا استمرت هذه العادات بالانسان كان بالوحش اشبه منه بالناس وربما حملت قوما على حمل السلاح ضد اخوانهم واوليايهم وعبيدهم وخدمهم عند الغضب من يسير الامور وربما اوصلتهم الى الجراح والقتل وربما اذا غضب من هذه حاله ولم يقدر على الانتقام من خصمه يعود بالضرب والسب والالم على نفسه فمنهم من يلطم وجهه وينتف شعره ومنهم من يعض ايديه ويسب عرضه ومن تملكته هذه القوة ايضا يكون محبا

للغلبة كما ذكرنا متوثبا على من اذاه مقدما على من ناداه طالبا للترؤس من غير وجهه فاذا لم يمكنه ذلك قصد التوصل اليه بالحيل الخبيثة فاستعمل كل ما يمكنه من الشر وهذه الافعال تورط صاحبها وتوقعه في مهاوي المهالك لان من وثب على الناس وثبوا عليه ومن خاصمهم خاصموه ومن تشرر عليهم تصدوه بالشر ايضا واذا سفه الانسان على خصمه وكان الخصم اسفه منه قابله باكثر وقد يغلب على من هذه حاله الحسد والحقد واللجاجة والجور وتحمل هولا محبة الغلبة وطلب الرياسة على اكتساب الاموال من غير وجوهها واخذها بالغصب والظلم وربما قتلوا على محبة الغلبة من يناويهم ويكون صدور ذلك من غير روية فيوول الامر بهم الى البوار والاستيصال فمن يسوس قوته الغضبية ويذلها ويقمعها كان حليما وقورا عادلا محمود الطريقة

فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في غضبهم وخرقهم وحلم بعضهم وسفاهة البعض هى اختلاف احوال القوة الغضبية فاذا كانت مذللة مقهورة كان صاحبها حليما وقورا واذا كانت مهملة مستولية علي صاحبها كان غضوبا

سفيها ظلوما غشوما واذا كانت متوسطة الحال كان متوسطا
رتبته في الحلم كرتبة قوته هذه في التادب ولذلك يجب ان
يقهر الانسان قوته الغضبية لكي تنقاد له فيملكها ويستعملها
في الظروف التي يجب استعمالها فيها لان لهذه القوة ايضا
فضايل محمودة كالانفه من الامور الدنية ومحبة الرياسة الحقيقية
وطلب المراتب العالية وهذه اخلاق محمودة تصدر عن افعال
القوة الغضبية فاذا ملك الانسان هذه القوة بالتاديب
والتهذيب واستعملها في الامور الجميلة وكفها عن الاعمال
المكروهة كان حسن الحال محمود الطريقة

واما القوة الناطقة * هي التي بها يتميز الانسان عن جميع
الحيوان وهي التي يكون بها الفكر والذكر والتمييز والفهم والتي
بها شرف الانسان وعظمت همته فاعجب بنفسه والتي بها
يستحسن المحاسن ويستقبح القبايح وبها يمكنه ان يهذب قوتيه
الباقيتين اعني الشهوانية والغضبية ويضبطهما ويكفهما وبها
يتفكر في عواقب الامور فيبادر باستدراكها من اوايلها ولهذه
القوة فضايل ورذايل •

اما فضايلها فاكتساب العلوم والاداب وكف صاحبها

عن الرذايل والفواحش وقهر القوتين الاخريتين وتهذيبهما وسياسته في معاشه ومكاسبه وفي مروته وجميله وحثه على فعل الخير والتودد والرقة وسلامة النيه والحلم والحيا والنسك والعفة وطلب الرياسة من الوجوه الجميله

واما رذايلها فالخبث والحيلة والخديعة والملق والمكر والحسد والريا والتشرر وهذه القوة هي لجميع الناس الا ان منهم من تغلب عليه فضايلها فيستحسنها ويستعملها ومنهم من تغلب عليه رذايلها فيالفها ويستمر عليها ومنهم من يجتمع فيه بعض الفضايل وبعض الرذايل

وهذه العادات قد تكون في كثير من الناس سجيةً وطبعاً لا تكلفا

فالمطبوع على العادات الجميلة منها فلحسن قوته الناطقة وشرف عنصره والمطبوع على العادات المكروهة فلضعف قوته الناطقه وسوء جوهره والذى تجتمع فيه فضايل ورذايل فتكون قوته الناطقه متوسطة الحال

وقد يكتسب اكثر الناس هذه العادة جميلها وقبيحها اكتسابا وذلك بحسب منشا الشخص واخلاق من يحيط به

ويعاشرهُ ويقرب منه وبحسب روساء وقته ومن يشار اليهم بالنباهة ويغبطون على رتبهم في زمانه لان الحدث يكسب الاخلاق ممن يكثر ملابسته ومخالطته ومن ابويه واهله وعشيرته فاذا كان هولاء سيئي الاخلاق مذمومى الطريقة كان الحدث الناشي بينهم سيىء الاخلاق مكروه العادات واذا راي الحدث ايضا اهل الرياسة ومن فوقه وغبطهم على مراتبهم اثر التشبه بهم والتخلق باخلاقهم فان كانوا مهذبى الاخلاق حسني السيرة كان المتشبه بهم حسن الاخلاق مرضي الطريقة وان كانوا اشرارًا جهالا كان السالك طريقتهم شريرا جاهلا

وهذه الحال هى اخلاق اكثر الناس فان الجهل والشر والخبث والشره والحسد غالبا عليهم والناس بالطبع يقتدي بعضهم ببعض ويحذي التابع ابدا سيرة المتبوع واذا كان الغالب الشر والجهل اقتدي بذلك الاولاد والاحداث والاتباع

والعلة الموجبة لاختلاف اخلاق الناس في سياساتهم وفضايلهم وغلبة الخير والشر عليهم هو اختلاف القوة الناطقة فيهم فاذا كانت خيرة فاضلة قاهرة للقوتين الباقيتين كان صاحبها خيرا عادلا حسن السيرة واذا كانت شريرة خبيثة

مهملة للقوتين الباقيتين كان صاحبها شريرا خبيثا جاهلا

ولذلك وجب ان يعمل الانسان فكره بتمييز اخلاقه ليختار منها ما كان مستحسنا جميلا وينفى ما كان مستنكرا قبيحا ويحمل نفسه على التشبه بالاخيار ويتجنب كل التجنب عادات الاشرار فانه اذا فعل ذلك صار بالانسانية متحققا وللرياسة الذاتية مستحقا

اما انواع الاخلاق واقسامها والمستحسن منها المستحب اعتياده يعد فضايل والمستقبح المستكره يعد نقايص ومعايب وهاك انواع ذلك جميعهُ

فصل

في الاخلاق الحسنة التى تعد فضايل

منها العفة ا * وهى ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفا بما يقيم اود الجسد ويحفظ الصحة فقط والتقصير في جميع اللذات وقصد الاعتدال لكن يكون هذا الاقتصار على الوجه المستحب المتفق على ارتضايه وفي اوقات الحاجة التى لاغنى عنها وعلى القدر الذي لا يحتاج الي اكثر منه ولا يحرس

النفس والقوة اقل منه وهذه الحال هى غاية العفة

ومنا القناعة ٢ * وهى الاقتصار على ما سنح من العيش والرضا بما تسهل من المعاش وترك الحرص على اكتساب الاموال وطلب المراتب العالية مع الرغبة فيها والايثار والميل اليها وقهر النفس على ذلك والقنع باليسير منه وهذا الخلق مستحسن من اواسط الناس واصاغرهم فاما الكبار والعظما فليس ذلك مستحسناً منهم ولا تعد القناعة من فضايلهم

ومنها التصون ٣ * وهو التحفظ من التبدل فمن التصون التحفظ من الهزل القبيح ومخالطة اهله وحضور مجالسه وضبط اللسان عن الفحش وذكر الخنا والمزح السخيف وخاصة في المحافل ومجالس المحتشمين اذ لا ابهة لمن يكثر المزح ويفحش فيه ومن التصون ايضاً الانقباض عن ادنيا الناس واصاغرهم ومصادقتهم ومجالستهم والتحرز من المعيشة الزرية واكتساب الاموال من الوجوه الخسيسة والترفع عن مسألة الحاجات للئام الناس وسفلتهم والتواضع لمن لا قدر له والاقلال من الطواف من غير حاجة والتبدل بالجلوس في الاسواق والقهاوى وقوارع الطرق من غير اضطرار لان الاكثار من ذلك لا يخلو من

العيوب وقد قبل اعظم قدراً من ظهر اسمه وخفي جسمه

ومنها الحلم ٤ * وهو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك وهذه الحال محمودة مالم تودي الي ثلم جاه او فساد سياسة وهي بالملوك والروسا احسن لانهم اقدر على الانتقام من مبغضيهم اذ لا يعد فضيلة حلم الصغير على الكبير ان كان قادراً على مقابلته في الحال لانه ان امسك فانما يعد ذلك منه خوفا لا حلما

ومنها الوقار ٥ * وهو الامساك عن فضول الكلام والعتب وكثرة الاشارة والحركة فيما يستغني عن التحرك فيه وقلة الغضب والاصغاء عند الاستفهام والتوقف عند الجواب والتحفظ عند السرعة والمبادرة في الامور ومن قبيل الوقار ايضاً الحيا وهو غض الطرف والانقباض من الكلام حشمة للمستحيين منه وهذه العادة محمودة مالم تكن عن بلادة وعجز

ومنها الود ٦ * وهو المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة والود مستحسن من الانسان اذا كان لاهل الفضل والنبل وذوي الوقار والابهة والمتميزين من الناس واما التودد الي اراذل الناس واصاغرهم والي النساء اهل الخلاعة وما شابههم

فمكروه جداً واحسن الود ما نسجته على منوال مناسب للفضايل
واما ما كان ابتداوه اجتماعاً على هزل او طلب لذة وما شابه
ذلك فليس بمحمود ولا باقي ولا ثابت وربما افضي الي شر

ومنها الرحمة ٧ * وهي خلق مركب من الود والجزع ولا
تكون الا لمن يظهر منه لراحمه خلة مكروهة اما نقيصة في
نفسه واما محبة عارضة والرحمه هي محبه المرحوم مع جزع من
الحالة التي رُحم لاجلها وهذه الحالة مستحسنة ما لم تخرج
بصاحبها عن العدل وتنتهي به الي الجور والي فساد السياسة
وليس بمحمودة رحمة القاتل عند القود والجاني عند القصاص

ومنها الوفا ٨ * وهي الصبر على ما يبذله الانسان من
نفسه ويرهن به لسانه والخروج مما يضمنه وان كان مفرطاً فلا
يعد وفياً اذا لم يلحقه بوفايه اذية ولو قليلة وهذا الخلق ممدوح
ينتفع به جميع الناس فان من عرف بالوفا كان مقبول القول
في جميع ما يعد به لاسيما اهل التجارة ومن كان مقبولاً كان عظيم
الجاه الا ان انتفاع الملوك بهذا الخلق اكثر وحاجتهم اليه اشد
لانه متى عرف منهم قلة الوفا لم يوثق بمواعيدهم ولم تتم اغراضهم ولم
تسكن اليهم جندهم واعوانهم

ومنها الامانة ٩ * وهى التعفف عما يتصرف الانسان فيه من مال غيره وما يوثق به عليه من الاعراض والحرم مع القدرة على ذلك ورد ما يستودع الي مودعه

ومنها كتمان السر ١٠ * وهذا الخلق مركب من الوقار والامانة فان اظهار السر من فضول الكلام وليس بوقور من تكلم بالفضول والفضولي ناقص الشرف فكما ان من استودع مالاً فاخرجه الى غير مودعه قد احتقر الامانة كذلك من استودع سرا فاخرجه الى غير صاحبه قد احتقر الامانة ايضاً وكتمان السر محمود من جميع الناس وخاصة من اصحاب اولياء الامور فان اخراجهم السر ومع انه قبيح يودي بهم الى شر عظيم وبلاء جسيم

ومنها التواضع ١١ * وهو ترك التروس واظهار الخمول وكراهية التعظيم والزيادة في الاكرام وان يتجنب الانسان المباهاة بما فيه من الفضايل والمفاخرة بالمال والجاه وان يتحرز من الاعجاب والكبر ولا يحمد التواضع الا في اكابر الناس وروسايهم واهل الفضل والعلم وغير هولاء فلا يكونون متواضعين لان الضعة هى محلهم ومرتبتهم وهم خادمون لها

ومنها البشر ١٢ * وهو اظهار السرور لمن يلقاه الانسان من اخوانه واوديه واصحابه واوليايه ومعارفه والتبسم عند اللقا والمشاهدة وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو من الاوليا والعظماء احسن لان البشر من الوالى تتالف به قلوب الرعية والاعوان والحاشية ويزداد به تحبباً اليهم ولا يعد سعيداً من كان مبغضاً الي رعيته وربما ادي ذلك الي فساد امره وزوال حكمه

ومنها صدق اللهجة ١٣ * وهو الاخبار عن الشي على ما هو به وهذا الخلق مستحسن مالم يودي الى ضرر مفرط ولا يستحسن صدق الانسان اذا سئل عن فاحشة كان ارتكبها فانه لا يفي حسن صدقه بما يلحقه في ذلك من العار والمنقصة الباقية اللازمة وكذلك ليس يحسن صدقه اذا سيل عن مستجير استجاره فاخفاه ولا اذا سئل عن جناية ان صدق فيها عوقب عليها عقوبة مولمة والصدق مستحسن من جميع الناس وهو من الاولياء والعظماء احسن فلا يسعهم الكذب مالم يعد عليهم الصدق بضرر

ومنها سلامة النية ١٤ * وهى اعتقاد الخير بجميع الناس

وتنكير الخبث والغيلة والمكر والخديعة وهذا الخلق محمود من جميع الناس الا انه لا يصلح لاولياء الامر التخلق به دايماً وقد لا يتم الحكم الا باستعمال المكر والحيل والاغتيال مع الاعدا ولكن لا يحسن بهم استعماله مع اخصايهم واصفيايهم واهل طاعتهم

ومنها السخاء ١٥ * وهو بذل المال من غير مسئلة ولا بحث عن استحقاق وهذا الخلق مستحسن ما لم ينتهِ الى السرف والتبذير فان من بذل ما يملكه لمن لا يستحقه لا يسمى سخياً بل مبذراً ومضيعاً والسخاء في ساير الناس فضيلة مستحسنة واما في الاولياء فامر واجب لان البخل يودي الى الضرر العظيم في الاحكام والسخاء والبذل ترتهن به قلوب الرعية والجند والاعوان فيعظم الانتفاع به

ومنها الشجاعة ١٦ * وهي الاقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة الى ذلك وثبات الحواس عند المخاوف والاستهوان بالموت وهذا الخلق مستحسن من الجميع وهو بالحكام واعوانهم اليق واحسن اذ لا يستحق التولية من عدم هذا الخلق واكبر الناس اخطاراً واحوجهم الى اقتحام الغمرات هم الحكام والشجاعة

تكاد ان تكون من الاخلاق الخاصة بهم

ومنها المنافشة ١٧ * وهى منازعة النفس الى التشبه بالغير فيما يراه ويرغب به والاجتهاد في الترقى الي درجة اعلى من درجته وهذا الخلق محمود اذا كانت المنافشة في الفضايل والمراتب العالية وفيما يكسب مجداً وسودداً

ومنها الصبر على الشدايد ١٨ * وهذا الخلق مركب من الوقار والشجاعة وهو مستحسن جداً ما لم يكن الجزع نافعاً والحزن والقلق مجدياً والحيلة والاجتهاد دافعة ضرر تلك الشدة فما احسن الصبر اذا عدمت الحيلة وما اقبح الجذع اذا لم يكن مفيداً

ومنها عظم الهمة ١٩ * وهو استصغار ما دون النهاية من معالى الامور وطلب المراتب السامية واستحقار ما يجود به الانسان عند العطية والاستخفاف باواسط الامور وطلب الغايات والتهاون بما يملك وبذله لمن يساله من غير امتنان ولا اعتداد به وهذا الخلق من خصوصيات الحكام وقد يحسن بالكبراء والعظماء ومن تسمو نفسه الي مراتبهم ومن عظم الهمة الانفة والحمية والغيرة فالانفة هي نبو النفس عن الامور الدنية والحمية والغيرة معاً الغضب عند الاحساس بالنقص

وتلحق الانسان الغيرة على الحرم لان في التعرض لهن عار ومنقصة واهتضام قلة الاعتبار فالانفة من ذلك من اعظم الهمة وهذا مستحسن من جميع الناس

ومنها العدل ٢٠ * وهو التقسط اللازم للاستواء واستعمال الامور في مواضعها واوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تاخير

فصل

في الاخلاق الردية التي تعد نقايص ومعايب

منها الفجور ١ * وهو الانهماك في الشهوات والاكثار منها وايثار اللذات والادمان عليها وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها وبالجملة السرف في جميع الشهوات وهذا الخلق مكروه جدًا يهدم الحيا ويذهب بما الوجه ويخرق حجاب الحشمة

ومنها الشره ٢ * وهو الحرص على اكتساب الاموال وجمعها وطلبها من كل وجه وقبح التعسف في اكتسابها والاستكثار والادخار من القنية وهذا الخلق مكروه من جميع

الناس الامن الحكام فان كثرة اذخار الاموال والذخاير تعينهم وتزيدهم هيبة في نفوس رعيتهم واعوانهم واعدايهم واضدادهم

ومنها التبدل ٣ * وهو اطراح الحشمة وترك التحفظ والاكثار من الهزل واللهو ومخالطة السفها وحضور مجالس السخف والمزح والتفوه بالخنا وذكر الاعراض والفحش والجلوس في القهاوي وعلى قوارع الطرق والتكسب بالمعايش الزريه والتواضع للسفلا وهذا الخلق قبيح بجميع الناس

ومنها السفه ٤ * وهو ضد الحلم اي سرعة الغضب والطيش من يسير الامور والمبادرة في البطش والايقاع بالاذي والسرف في العقوبة واظهار الجزع من ادنى ضرر والسب الفاحش وهذا الخلق مستقبح من كل احد الا انه يشين العظماء والروساء كثيرًا

ومنها الخرق ٥ * وهو كثرة الكلام والتحرك من غير حاجة وشده الضحك والمبادرة الي الامور من غير توقف وسرعة الجواب الردى وهذا الخلق مستقبح من كل احد وهو باهل العلم وذوي النباهة اقبح ومن قبيله قلة الاحتشام لمن يجب احتشامه والمجاهرة بالجوابات الفظة المستشنعة وذلك مكروه

وخاصة بذوى الوقار

ومنها الهوي ٦ * وهو افراط الحب والسرف فيه وهذا الخلق مكروه الا انه يستقبح كثيراً اذا كان مصروفاً الي طلب اللذة واتباع الشهوة الردية فيحمل صاحبه على الفجور وكثرة التبدل وارتكاب الفواحش وقلة الحيا وهو قبيح جداً الا بالمترفهين والمتنعمين يستلطف اذا كان ميله خالص مما ذكر

ومنها القساوة ٧ * وهذا خلق مركب من البغض والشجاعة وهو التهاون بما يلحق الغير من الالم والاذي وهذا الخلق مكروه من كل احد الا من الجنود واصحاب السلاح المامورين والمتولين الحروب فلا يستكره منهم اذا كان في موضعه

ومنها الغدر ٨ * وهو الرجوع عما يبذله الانسان من نفسه ويضمن الوفاء به وهذا الخلق مستقبح وان كان لصاحبه فيه مصلحة ومنفعة وهو بالحكام والروساء قبيح جداً ومضرلهم لان من عرف منهم بالغدر لم يسكن اليه احد ولم يثق به انسان واذا كان كذلك فسد نظامه

ومنها الخيانة ٩ وهي الاستبدال بما يوتمن عليه الانسان من الاموال والاعراض وتملك ما يستودع عنده ومجاحدة

مودعه ومن الخيانة ايضاً طي الاخبار اذا ندب الي تاديتها وتحريف الرسايل اذا تحملها وحرفها عن وجهها وهذا مكروه من جميع الناس لانه يثلم الجاه ويقطع وجوه المعاش

ومنها افشاء السر ١٠ * وهذا الخلق مركب من الخرق والخيانة فانه ليس بوقور من لم يضبط لسانه ولم يتسع صدره لحفظ ما يسارر به والسر احد الودايع وافشاوه نقيصة على صاحبه ومفشيه يسمى خاين وهذا الخلق قبيح جداً وخاصة بمن يصحب اولياء الامور ويتداخل معهم . ومن قبيل افشاء السر الغيبة والنميمة وذلك ان يبلغ انسان عن اخر قولاً مكروهاً وهذا قبيح جداً وان لم يستتر ايضا بما يسمعه او يبلغه ونقله الى من يكرهه قبيح لان في ذلك ايقاع وحشة بين المبلّغ والمبلغ عنه وذلك غاية التشرر

ومنها الكبر ١١ * وهو استعظام الانسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضايل والاستهانة بالناس واستحقارهم والترفع على ما يجب التواضع له وهذا الخلق مكروه مضر لصاحبه لان من اعجبته نفسه لم يستزد من اكتساب الادب ومن لم يستزد بقي على نقصهِ اذ ان الانسان لا يخلو من النقص والمتكبر يبغضه الناس

ومن بغضه الناس ساءت احواله

ومنها العبوس ١٢ * وهو التقطب عند اللقاء واظهار الكراهة وهذا الخلق ينتج من الكبر وغلظ الطبع فان قلة البشاشة استهانة بالناس والاستهانة بالناس تكون من الاعجاب والكبر وقلة التبسم خاصة عند لقاء الاخوان تكون من غلظ الطبع وهذا الخلق مستقبح خصوصاً بالروساء والافاضل

ومنها الكذب ١٣ * وهو الاخبار عن الشي بخلاف ماهو عليه وهذا الخلق مكروه ما لم يكن مضرة لا يمكن دفعها الا به واجتناء نفع لا غني عنه ولا يوصل اليه الا فيه فان الكذب عند ذلك لا يستقبح كثيراً انما اذا كان عبثاً او لنفع يسير لا خطر له ولا يفي بمقامه فيستقبح جداً وهو بالعظما والروساء اكثر قبحاً لان اليسير من النقص يشينهم

ومنها الخبث ١٤ * وهو اضمار الشر للغير واظهار الخير له رياء واستعمال الحيلة والمكر والخديعة في المعاملات وهذا الخلق مكروه من جميع الناس غير ان الملوك والاوليا فانهم يضطرون اليه فاستعمالهم اياه مع اضدادهم واعدايهم غير مستقبح واما مع اخصايهم واصحابهم فغير مستحسن ۰ ومن قبيل الخبث

الحقد وهو اضمار الشر للجاني اذا لم يتمكن من الانتقام منه فيخفي ذلك الانتقام الى وقت الفرصة وهذا الخلق من اخلاق الاشرار وهو مذموم جداً

ومنها البخل ١٥ * وهو منع المستعطى مع القدرة على اعطايه وهذا الخلق مكروه من جميع الناس الا انه من النساء اقل كراهة بل قد يستحب منهم واما ساير الناس فانه يشينهم وخاصة اولياء الامور فان البخل يبغض منهم اكثر مما يبغض من العوام ويقدح في حكمهم لانه يقطع الاطماع منهم ويبغضهم الى رعيتهم

ومنها الجبن ١٦ * وهو توهم المخاوف وتمكينها في العقل بدون طايل وعدم الاقدام على الامور عند اللزوم والرعب من مواجهة ذوي الامر عند الاقتضا وهذا الخلق مكروه الا انه بالجنود واصحاب الحروب مضر جداً

ومنها الحسد ١٧ * وهو التالم مما يراه الانسان لغيره من الخير وما يجده فيه من الفضايل والاجتهاد في اعدام الغير ما هو له وهذا الخلق مكروه وقبيح بكل احد

ومنها الجزع عند الشدة ١٨ * وهذا الخلق مركب من الخرق والجبن وهو مستقبح جداً اذا لم يكن مجدياً نفعاً واما

اظهاره للحيلة عند الوقوع في الشدة او لاستغاثة مغيث او اجتلاب معين للمساعدة فغير مكروه ولا يعد نقيصة

ومنها صغر الهمة ١٩ * وهو ضعف النفس عند طلب المراتب العالية وقصور الامل عن بلوغ الغايات واستكثار اليسير من الفضايل واستعظام القليل من العطايا والاعتداد بذلك والرضا باواسط الامور واصاغرها وهذا الخلق قبيح جداً اما بالكبراء والعظماء اقبح بل لا يستحقون الاعتبار من صغرت همتهم

ومنها الجور ٢٠ * وهو الخروج عن العدل في جميع الامور كاخذ الاموال من غير وجوهها والمطالبة بما لا حق فيه والتحكم به وفعل الاشيا في غير مواضعها واوقاتها ولا على القدر الذي يجب لها ولا على الوجه المستحسب فيها ومن قبيل ذلك السرف والتبذير ايضاً

فصل

في الاخلاق التي تكون في بعض الناس فضيلة وفي بعضهم رذيلة

منها الكرامة * وهوان يسير الانسان بالتعظيم والتبجيل

والمقابلة بالمدح والثنا الجميل وهذا الخلق محمود في الاحداث والصبيان لان محبة الكرامة تحثهم على الرغبه في اكتساب الفضايل وذلك ان الحدث او الصبي اذا مدح على فضيلة وجدت فيه كان ذلك داعياً الى الازدياد في الفضايل واما في افاضل الناس فيعد ذلك نقيصة لان الانسان انما يمدح على الفضيلة اذا كانت مستغربة منه واذا كان من اهل الفضل فلا ينبغي ان يسر او يستغرب ما يظهر منه من الفضايل وكذلك الاكرام والتعظيم اذا كان زايداً على استحقاقه فانه يجري مجرى الملق والسرور بالملق غير محمود لانه من باب الخديعة

ومنها حب الزينة * وهو الرغبة بحب التنزه وركوب الخيل وكثرة الخدم والحشم وهذا مستحسن من العظماء والاغنيا والاحداث والظرفاء والنساء واما ايمة الاكليروس والزهاد والشيوخ وخاصة الخطباء والواعظون وروساء الاديان فان التصنع بالزينة مستقبح منهم بل المستحسن بهم لبس الخشن ولزوم بيوت العبادة

ومنها المجازاة على المدح * وهي مجازاة من يمدح الانسان

ويشكره في المجالس والمحافل وهذا الخلق مستحسن من الملوك والروساء لان ذلك يدعو المادح الى الازدياد في المدح فيكتسب الممدوح ذكراً جميلاً يبقي الي الدهر ومن فضايل الملوك والروساء بقاء ذكرهم الجميل واما محبتهم سماع المدح من المادح مواجهةً فغير مستحب لانه من قبيل الملق وحب الملق مكروه لكونه خديعة كما تقدم واما ايثارهم انتشار ذكرهم ومدحهم وتناول الناس له وبقاه بعدهم فانه محمود منهم ومجازاة المادح مستحسنة من الملوك ومنعهم مستقبح وعار عليهم لان ذلك يدعو الى ذمهم فيبقي الى الدهر ذكراً قبيحاً اما اصاغر الناس فحبهم جزاء مادحهم غير مستحسن لان المادح اذا مدح الدني من الناس فانما يخدعه فاذا اجازه اعتقد انه اخذ منه تلك الجايرة بالحيله وكثير من الناس اذا مدحوا بما ليس فيهم يبادرون الى مجازاة المادح فيكونون قد وضعوا الشى في غير موضعه ولو صرفوا ذلك الي الفقراء واهل المسكنة كان ذلك اجل واليق بهم

ومنها الزهد * وهو قلة الرغبة في الاموال والاغراض والادخار والقنية وايثار القناعة بما يقيم الرمق والاستخفاف

بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة الاكتراث بالمراتب العالية
واستصغار اهل التملك وارباب الاموال واموالهم وهذا
الخلق مستحسن جداً من روسا الاديان والاكليروس والخطبا
والواعظين ومن يرغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت فاما
الملوك والعظماء فأن ذلك غير مستحسن منهم ولا لايق بهم
لان الملك اذا اظهر الزهد صار نافصاً اذ ان ملكه لا يتم الا
باحتشاد الاموال واذخارها ليحمي بها ملكه ويصون حوزته
ويفتقد بذلك رعيته وهذا مضاد للزهد فان ترك الاذخار
عدم ملكه وصار معدوداً في جملة الملوك الحايدين عن
طريق السياسة

فهذه الاقسام التى ذكرناها هى اخلاق جميع الناس اما
الممدوحة منها المعدودة فضايل فقل ما تجتمع كلها في انسان
واحد واما المذمومة المعدودة نقايص ومعايب فقل ما يوجد
انسان يخلو من جميعها وخاصة من لم يروض نفسه ويود بها
فان من لا يتعمل لضبط ذاته وتفقد عيوبه لم يخلو من كثرة
اخلاق مكروهة وان لم يحس بها ويفطن اليها

واذ كان الحال على ما ذكرنا كان اولي الامور بالانسان ان

يتفقد اخلاقه ويتامل عيوبه ويجتهد في اصلاحها ونفيها عن نفسه ويتبع الاخلاق المحمودة ويحمل نفسه علي اعتيادها والتخلق بها لان الناس انما يتفاضلون علي الحقيقة بفضايلهم لا كما يعتقد الجهال والعامة انهم يتفاضلون باموالهم وكثرة ذخايرهم وافتخار اكثر الناس بالاموال والذخاير والالات وتعظيمهم الاغنيا واعتبارهم بعضهم عن بعض بكثرة المال او بالجاه المكتسب به ليس في محله لانه ناتج عن الامل بالمنفعه المالية منهم لكن كثرة المال انما تتفاضل بها احوال الناس فقط اما نفوسهم فلا تكن افضل من نفوس غيرهم بذلك البتة لان الفاجر السفيه الجاهل الشرير وان حوى اموالاً عظيمة لا يكون افضل من العفيف الحكيم الخير العالم اذا كان فقيراً بل يكون بكثرة المال اغني منه واما بالفضل فليس احد افضل عن احدٍ الا بكثرة الفضايل لكن اذا اجتمع للانسان مع الاخلاق الجميلة والعادات المستحسنة الغني والثروة فلعمري انه يكون احسن حالاً من الفاضل المفتقر لان ذلك من جملة سعادات الانسان وخاصة اذا كان عادلاً عفيفاً يصرف ماله في وجهه وينفقه في حقه ويتفقد بهِ من يجب تفقده غير متهامل عن حق يجب عليه

اما الجاهل السئ العادات فان الغنى ربما زاده نقصاً وعيوباً ومن لا مال له لا يعد بخيلاً وان كان البخل من طبعه اذ لا يظهر ذلك منه ومتى لم يظهر منه لا يعاب به ومن كان ذا مال ويسار ولم يجد منه ظهر بخله فيكون المال جالباً عليه هذا العيب وكذلك فان اكثر الفجور والمحظورات والشهوات الردية لا تنال الا بالاموال فالفقير وان كان من شبهه الفجور فلا يكاد يظهر منه ذلك اما اذا كان ذا مال يتمكن من شهواته فتظهر عيوبه وبناء عليه بكون الغني مكسباً لصاحبه احياناً عيوباً ونقايص ويكون الفقر مفيداً لصاحبه فضايل ومحاسن فينتج من ذلك ان الناس على الحقيقة لا تتفاضل بالاموال والذخاير انما يتفاضلون بالاداب والمحاسن الذاتية فالخليق بالانسان ان يسوس نفسه بالاداب المستحسنة ويسلك بها الطريق المحمودة فانه بذلك يكون محبوباً من الناس مقبولاً عندهم معظماً في نفوسهم مفضلاً عن غيره موقراً عند الروسا والاولياء مقبول القول عظم الجاه

وهذه حالة العظمة المكتسبة بالاموال لان المال قد تلحقه المصايب فاذا فارق صاحبه سقطت منزلته من نفوس الناس

وساوى العامة والسوقة لان المعظم له كان ماله لا نفسه فمتى زال ذلك المال لم يبقَ له شي يعظم من اجله وليس كذلك العالم النفيس الفاضل المهذب الاخلاق لان عظمته بفضايله وهي غير مفارقة له فهو معتبر دايماً ومعظم من اجل ذاته لا من اجل شي خارج

وبما ان الراغب في سياسة نفسه المؤثر تهذيب اخلاقه اذا نبه على خلق مذموم وجد فيه يجب اجتنابه ربما صعب الانتقال عنه من اول وهلة وربما لم ينل التخلص منه ولم يطاوعه طبعه او ربما استحسن خلقاً محموداً لا يجده لنفسه واثر التخلق به لم تسمح له عادته ولم يصل الى مراده لذلك وجب ان نرسم للراغبين في السياسة المحمودة طرقاً يتدربون بها ويتدرجون فيها حتى ينتهوا الى مرادهم من اعتياد الاخلاق الجميلة والانطباع عليها وتجنب الاخلاق القبيحة والتفرغ منها

فصل

في طرق الارتياض بالاخلاق وكيفية العمل لاعتيادها

قد ذكرنا فيما تقدم ان سبب اختلاف الاخلاق في الناس

هو اختلاف قوى النفس الثلث فيهم وهى الشهوانية والغضبية والناطقة وان اصلاح الاخلاق هو تذليل الشهوانية والغضبية منها وتمييز عادات القوة الناطقة واستعمال المحمود من افعالها فطريق التدرج لاستعمال العادات الجميلة والعدول عن العادات القبيحة هو تذليل هاتين القوتين

اما طريق قمع القوة الشهوانية هو ان يتذكر الانسان في اوقات شهواته وعند شدة العزم الى لذاته انه يريد تذليل قوته الشهوانية فيعدل عما تاقت نفسه اليه من الشهوة الردية الى ما هو مستحسن من جنس تلك الشهوة ومتفق على ارتضايه ويقتصر عليه فان لم تنكسر شهوته يعللها ويعدها فان سكنت انتصر والا عاود الفعل من الوجه المستحسن فانه اذا فعل ذلك وكرره كف النفس وبالاستمرار على هذا الحال تالف النفس هذه العادة وتانس بها وتستوحش مما سواها

وينبغى لمن اراد قمع قوته الشهوانية ان يكثر من مجالسة الزهاد والنساك واهل الورع والواعظين ويلازم مجالس الروسا واهل العلم فان هولاء وخاصة روساء الاديان يعظمون من كان معروفاً بالعفة ويستزرون بمن كان فاجراً منهمكاً

فمجالسته وملازمته لهذه المجالس تضطره الى التصون والتعفف والتجمل لذوقهم ليلا يستزروه ويغضبوا منه واذا لم يمكنه مجالستهم فعليه بمطالعة اخبارهم وتواريخهم واطالة النظر في كتب الاخلاق والسياسة متجنباً جمعيات الخلعا والسفها والمنهمكين ومن يكثر الهزل واللعب وحينيذٍ يلحق برتبة من يعظم في المحافل

واكثر ما يجب له ايضاً ان يتجنب السكر فانه مما يثير القوة الشهوانية ويقويها ويحملها على التهتك وارتكاب الفواحش والمجاهرة بها وذلك ان الانسان انما يرتدع عن القبايح بالعقل والتمييز فاذا سكر عدم ذلك الذي كان يردعه عن الفعل القبيح وحينيذٍ لا يبالى بارتكاب كلما كان يتجنبه في حال صحوه فاولى الاشيا بمن يطلب العفة هجر الشراب بالجملة وان لم يمكنه فليقتصر على اليسير منه ويكون ذلك في الخلوات اومع من يحتشمه ويتجنب مجالس المجاهرين في الشراب والخلاعة ولا يظن انه ان حضر تلك المجالس واقتصر على اليسير من الشراب لم يستضر ان هذا لغلط كبير وذلك ان من يحضر مجالس الشراب لا تنقاد له نفسه الى القناعة باليسير منه بل ان

حضر وكان في غاية العفة تاركاً الشرب متمسكاً بالورع حملته
شهوته على التشبه باهل المجلس وتاقت نفسه الى التهتك وما
اكثر من فعل ذلك التهتك بعد الستر والصيانة فشر
الاحوال لمن يطلب العفة حضور هكذا مجالس ومخالطة اهلها
والاستكثار من معاشرتهم

وينبغي لمن اراد قمع قوته الشهوانية ان يقل من استماع
الغناء وخاصة من النساء المتصنعات لان للسماع قوة عظيمة في
اثارة الشهوة فكيف اذا كانت المغنية مشتهاة ومتعملة لاستمالة
العيون اليها فتجتمع على السامع حينئذ حوادث كثيرة ربما لم
يستطع دفع جميعها عن نفسه فالاولى بمن رغب بقهر الشهوة ان
يتجنب السماع وان لم يكن له منه بد ولم تسمح له نفسه على هجره
بالكلية فليقتصر على استماعه من الرجال او ممن لا مطمع
للشهوة فيهم والاقلال منه خير وانصف للمتعفف

اما الطعام فاعلم ان غايته هي الشبع لدفع الم الجوع
وفاخره ودنيه مشبعان فليس للمبالغة في تجويد الطعام الكثير
افادة والاولي التوسط في انواع الماكل وان يكون من النوع
الذى نشا عليه الانسان واعتاده والفه الا ان شهوة الطعام

والنهم فيه وان كانت من الاخلاق الردية فهي خفيفة لا تكسب صاحبها من العار ما تكسبه محبة الشراب والمباضعة ومعاشرة النساء اهل الخلاعة ومصاحبة المتهيين للفواحش فان ذلك في غاية القبح فشهوة الماكل اقل قبحاً واخفى على صاحبها لكن الاستهتار والنهم وكثرة الشره بها مكروه فطريق التدرج الى الاقتصار فيها هو ان يبادر ذو الشهوة الى اي شي اشتهاه من الماكل فان كان المشتهى الذي تاقت نفسه اليه حلواً فالى اى حلاوةٍ وجدها وان كان غير ذلك فالى ما يشتهيه من الطعام فانه اذا تناول الانسان من ذلك تكرارا وشبع منه سكنت شهوته وكفت نفسه بعد ذلك

وينبغي لمن احب العفة ان يكون ابداً متيقظا ذاكراً لما يلحق الفاجر والمتهتك وصاحب النهم والشره من القباحة والعار واهانه الشرف جاعلاً ذلك ديدنه وشعاره ومداوما على ذكره فان نفسه حينيذٍ تبغض الشهوات الردية وتشتاق الى التعفف والقناعة وتطرب عند العدول عن الفواحش مع القدرة عليها وترتاح لما ينشر عنها وما يبلغها عن الناس من الثناء الجميل على صاحبها

فهذا هو الطريق الى قهر القوة الشهوانية وتذليلها وقمعها اعني الارتباض بالعادات المحمودة المرضية والابتعاد عما يتعلق بالشهوات واللذات الدنية

اما القوة الغضبية فان طريق قمعها وتذليلها هو ان يصرف الانسان همته الى تفقد السفها الذين يسرع اليهم الغضب في اوقات طيشهم وحدتهم ويلاحظ سفاهتهم على اخصامهم وعقوبتهم لخدمهم فانه يشاهد منهم منظرًا شنيعاً يانف منه الخاص والعام وان يتذكر في اوقات غضبه وعند جنايات خدمه ووثوب اخوانه واودايه في جميع محاوراته ومعاملاته ما شاهده من اولايك فانه اذا تفكر فيما كان استخففه منهم انكسرت بذلك سورة غضبه واحجم عما يهم بالاقدام عليه من السب والوثوب فان لم يكف بالكلية قصر ولم ينتهِ الى غاية الفحش

وينبغي لمن اراد قهر قوته الغضبية ان يتذكر في اوقات غضبه على من يوذيه او يجني عليه انه لو كان هو الجاني ما الذي كان يستحق ان يقابل على جنايته

فانه بهذا الفعل يعتقد ان درك تلك الجناية وذلك الاذي يسيرًا جدًا فاذا اعتقد ذلك كانت مقابلته للجاني الموذى بحسب

اعتقاده خفيفة وحينئذٍ لا يسرف في الانتقام ولا يفحش فى الغضب فمتى فعل ذلك دايماً وجعله ديدنا وتفقد معايب السفها ومن يسرع اليهم الغضب لم يبعد ان تنكسر قوته الغضبية وتنقاد اليه واذا استمر على ذلك مدة صار به خلقاً وعادةً

وينبغى لمن رغب في تذليل قوته الغضبية ان يتجنب حمل السلاح فى مجالس الشراب وحضور مواضع الفتن والحروب وفي مجالسة الاشرار ويتجنب معاشرتهم ومخالطة الشرط فان هذه المواضع تكسب قساوة القلب وتغلظه وتعدمه الرافة فتشتد لذلك القوة الغضبية فاذا اراد تسكينها يجب ان يجعل مجالسته لاهل الوقار والشيوخ والافاضل ومن يقل غضبه ويكثر حلمه ووقاره

وينبغى له ان يتجنب السكر من الشراب فانه يهيج القوة الغضبية اكثر مما يهيج القوة الشهوانية والسكران ربما اسرع الى العربدة والوثوب على جلسايه والاستخفاف بهم وسبهم وذكر اعراضهم بعد ان كان يتحنن عليهم ويتودد اليهم ولا يكون بين الوقتين الا مقدار ما يستحكم به السكر وهذا مثير القوة الغضبية ومقوٍ لها فمن اراد قهرها لا بد ان يتجنب السكر

وان تمكن من هجر الشراب البتة فهو اصلح لقهر القوة الغضبية والشهوانية جميعاً

وينبغي لمن اراد تذليل قوتيه الغضبية والشهوانية معاً ان يستعمل في جميع ما يفعله الفكر ولا يقدم على شي الا بعد ان يروى فيه ويجعل الفكرة واتباع الراى ديدنه وعادته فان الراى وجودة الفكر يقبحان له السفه وسرعة الغضب والانهماك في الشهوات واتباع اللذات فاذا استقبح ذلك احجم عنه وعدل الي ما يقتضيه الراى والفكر وان لم يرندع بالكلية لابد ان يوثر فيه ذلك فيقتصر عما يريد التسرع اليه

وملاك الامر في تهذيب الاخلاق وضبط القوة الشهوانية والقوة الغضبية هى القوة الناطقة فان بهذه القوة تكون جميع السياسات فاذا كانت قوية متمكنة من صاحبها امكنه ان يسوس بها قوتيه الباقيتين ويكف نفسه عن جميع القبائح ويتبع ابدًا محاسن الاخلاق واذا لم تكن قوية في صاحبها كانت مغمورة خافية

فاول ما ينبغي ان يعتمده في سياسة اخلاقه هو ان يروض هذه القوة وترويضها انما يكون با لعلوم العقلية فانه اذا نظر في

هذه العلوم ودقق بها ودرس كتب الاخلاق والسياسه وداوم
عليها تيقظت نفسه وتنبهت من شهواتها وانتعشت من خمولها
واحتسمت بفضايلها وانفت من رذايلها لان هذه القوة انما
تضعف وتنحف اذا عدمت الفضايل والمناقب واستولت عليها
الرذايل اما اذا اقتنت الفضايل واكتسبت الاداب تيقظت من
غشيتها وثارت من سكرها وقويت بعد ضعفها وفضايل هذه
القوة هي العلوم العقلية وخاصة ما دق منها فاذا ارتاض
الانسان بها شرفت وعظمت همته وقوي فكره وتمكن من نفسه
وملك اخلاقه وقدر على اصلاحها وانقاد له طبعه وسهل عليه
تهذيبه واذعنت له القوة الغضبية والشهوانية وهان عليه
قمعهما وتهذيبهما

وما ينبغي ان يبتدي به من يحب سياسة اخلاقه النظر في
الاخلاق والسياسات ثم الارتياض بعلوم الحقايق فان اشرف ما
يكون للنفس ادراكها حقايق الامور واطلاعها على هيئات
الموجودات فمتى شرفت نفس الانسان وعلت همته رقي الى
مراتب الفضل

ومما يصلح النفس الناطقة ويقويها ايضاً مجالسة اهل العلم

ومخالطتهم والاقتدا باخلاقهم وعوايدهم وخاصةً اصحاب علوم الحقايق والمتيقظون منهم المستعملون في جميع امورهم ما تقتضيه علومهم وتوجبه عقولهم

اما تمييز عادات القوة الناطقة واستعمال ما حسن فيها واطراح ما قبح انما يمكن ويتسهل اذا راض نفسه الانسان فان النفس اذا ارتاضت بالعلوم الحقيقة ونيقظت وتشرفت انفت من العادات المستقبحة وتنزهت عن التدنيس بها فيهون حينيذ على الانسان تجنب ما يستكره من العادات ويغلب عليه استحسان الاخلاق الحميدة والتخلق بها

فقد تبين من جميع ما ذكرناه ان طريق الارتياض بالاخلاق المحمودة والتصنع لاعتيادها واتباع المحمود المرضى منها وترك المذموم المستقبح وتذليل قوة الشهوة الغضبية وضبطها وقهرها هو اصلاح القوة الناطقة وتقويتها وتحليتها بالفضايل والاداب والمحاسن فان ذلك هو الة السياسة ومركب الرياضة

ومن لم يتمكن من اكتساب العلوم العقلية والامعان فيها وتعذر عليه ذلك فليبذل جهده في تدقيق الفكر ومجاهدة النفس في البحث ويمثل ما بين عادتيه القبيحة والجميلة وينظر

ايهما اجدى عليه وانفع له واحمد عاقبة وابقى على الايام فانه اذا صدق ما تاكدته نفسه وجد ان شهواته ولذاته انما هى ملذة وقت استعمالها فقط اما بعد مفارقتها فايست باقية ولا نافعة له ويجد عيبها وشينها باقياً الى الدهر متداولاً بين الناس يعاب به ويزرى عليه بقبحه

وكذلك في شدة الغضب والتسرع الى الانتقام والسب والفحش فمتى انحلت غمرته وسكنت سورته تامل امره ورأى ما فعله وجده قبيحاً ولم يجده مجدياً ولا مفيداً وقد صار ما فعله عند الغضب نقيصة يوسم بها ومعيرة يسب عليها وربما ارتكب في الغضب جنايات يعاقب عليها ويودب من اجلها

كذلك العادة المكروهة في القوة الناطقة ايضاً هى غير نافعة ولا مجدية للانسان وذلك كالحسد والحقد والخبث وامثال هذه فلا ينتفع بها صاحبها وان انتفع بالخبث كان شر منفعة ومع ذلك فهو مضر له لان من تشرر قصده الناس بالشر واستعدوا لاذيته وتعمدوا للاضرار به وتوقوه واحترزوا منه وكرهوا نفعه وقصروا عليه وجوه الخير واجتهدوا في ذلك وما اسوء حال من هذه صفته فمستعمل الشر والخبث منى

الحال ضره من شره اكثر من نفعه فاذا حاسب الانسان نفسه واجاد فكره وتمييزه علم ان الضرر في مساوى الاخلاق اكثر من النفع بها وان الذي يعده نفعاً ليس هو على الحقيقة بنفع واذا كان نفعاً فهو يسير جداً غير باقٍ ولا مستمر وان هذا اليسير الذي يحسبه نفعاً لا يفى بالضرر الكثير والعار الدايم المتصل ويعلم ايضاً ان الحسد والخبث يجلبان عليه الشر ويوحش منه الناس فاذا دام واكثر من الذكر بهذا قوى في نفسه اتباع محاسن الاخلاق وسهل عليه اطراح مساويها وقبايحها وغلب عليه الخير والسداد وفزع من العيب والعار واذا فعل ذلك دايماً لم يلبث ان تصلح اخلاقه وتحسن طريقته وتتهذب شمايله ويلحق برتبة اهل الفضل

وينبغي لمن اراد سياسة اخلاقه ان يجعل غرضه في كل فضيلة غايتها ونهايتها ولا يقنع منها بما دون الغاية ولا يرضي الا باعلى درجة فانه اذا جعل ذلك غرضه كان حرياً ان يتوسط فى الفضايل ويبلغ فيها رتبة مرضية ان فاتته الدرجة العليا واما ان قنع بالتوسط لم يامن ان يقصر عن بلوغه فيبقى في ادنى المراتب ويفوته المطلوب ولا يطمع ابداً فى التمام

فهذا الذي ذكرناه هو بيان ممدوح الاخلاق ومذمومها
وطريق الارتياض بمكارمها وكيفية تهذيبها ومنهج التدرج في
محمود العادات والسلوك بها فاذا اخذ الانسان بتدريب نفسه
به واكثر من مراعاته وتعهده صارت له الفضايل ديدناً
والمحاسن خلقاً وطبعاً انتهت

9 JY 68